2016 - 2003
Arabpsynet

وما سواها (143)

الضميـــــر بوصلـــة السلـــوك البشـــري!!

http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa143-141116.pdf

د. صـــــادق السامرائـــــي
أمريكـــا - العـــراق
sadiqalsamarrai@gmail.com

الضمير في اللغة يعني : السرّ وداخل الخاطر , والجمع الضمائر .
والضمير: الشيئ الذي تضمره في قلبك , فتقول : أضمرت في نفسي شيئا.

وتتنوع معاني الضمير وتنطلق من أصلها (ضمر) , ولكن المقصود به هو بوصلة السلوك البشري التي تقرر المصير الذاتي والموضوعي للناس.

فالسلوك تتحكم به روافد ومنطلقات وحيثيات ومفردات مستترة وجلية , ومعادلات تفاعلية ذات عناصر متداخلة وعوامل مساعدة ومحبّطة , وهو ما ينضح من وعاء الذات التي تنطبخ فيها الجزيئات والمركبات , وما يضاف إليها من المُيسرات والمُعسّرات , وما تتعرض إليه من ظروف فيزيائية وبايولوجية وبيئية تساهم في سرعة وطبيعة التفاعلات , وما ينجم عنها من تطورات.

وقد يكون الضمير من أهم المرتكزات الجامعة والمؤهلة النهائية للصياغات السلوكية المنسكبة في واقع الحياة , بل ربما يكون ربانها والمتحكم بدفة مسيرتها وتقلباتها في لجج الأيام الدوّارة بإحكام.

وهذه نظرة نفسية في أحوال الضمير المتأزم في واقعنا المشحون بالإضطرابات والإنفلاتات السلوكية الباثولوجية المتوطنة ذات الوبائية الفائقة.

أولا: غيبوبـــة الضميـــر!!

الضمير هو القوة الفاعلة في أعماق البشر , والمؤثرة في السلوك والمواقف والإتجاهات , والسلطة التي تقرر ما يجوز فعله وما لا يجوز.

وهو إحساس داخلي , ورادع أخلاقي ومعنوي , وصوت يدعو إلى التمييز ما بين الخير والشر , والعدل والظلم , والضلالة والإستقامة.

الضمير رفيق السلوك قبل وعند وبعد الشروع بأي عمل.

وهو معيار واضح ودقيق , ومحاسب وسواسي شديد , لا يترك شيئا إلا ووقف يتفحصه , ويعاين مدى صلاحيته وإيجابيته للخلق والحياة.

السلوك تتحكم به روافد ومنطلقات وحيثيات ومفردات مستترة وجلية , ومعادلات تفاعلية ذات عناصر متداخلة وعوامل مساعدة ومحبّطة

قد يكون الضمير من أهم المرتكزات الجامعة والمؤهلة النهائية للصياغات السلوكية المنسكبة في واقع الحياة , بل ربما يكون ربانها والمتحكم بدفة مسيرتها وتقلباتها في لجج الأيام الدوّارة بإحكام

الضمير يستمد قوامه وعافيته وحدوره , من مجموعة القيم والمفاهيم والأعراف المترسخة في مجتمع ما وثقافة ما

السلوك بصورة عامة محكوم بسلطة الضمير , وإلا فأنه ينفلت ويتوحش ويتمادى بالفتك الفظيع

والضمير يستمد قوامه وعافيته ودوره , من مجموعة القيم والمفاهيم والأعراف المترسخة في مجتمع ما وثقافة ما.

والسلوك بصورة عامة محكوم بسلطة الضمير , وإلا فأنه ينفلت ويتوحش ويتمادى بالفتك الفظيع.
والبعض يراه مرتبطا بالنفس اللوامة , التي تعترض على النفس الأمارة بالسوء , وتدخل في صراعات معها بغية تحقيق الهدوء , والوصول إلى مرتبة النفس المطمئنة.

ومن أمراض الشخصية , اضطراب الشخصية السايكوباثية أو اللاإجتماعية , حيث يموت الضمير فيها وتفقد أي أثر للسلطة الداخلية , فيغيب فيها وعي ويقظة الضمير , الذي عليه أن يقرر صواب السلوك.
وفي هذا الحال المضطرب , تضيع المقاييس وتتشوش المفاهيم , ويكون التمييز ما بين الخطأ والصواب , أو الخير والشر , حالة لا قيمة لها ولا معنى ,
وتتسيد النفس الأمارة بالسوء وتؤكد إستبدادها وإمتهانها لتلك الشخصية اللاسوية.

فالضمير البشري هو بوصلة أمان لتحقيق الحياة الإجتماعية , التي تساهم في ديمومة التفاعل البشري المرغوب.
وعندما يغيب صوت الضمير من الفرد أو المجموعة , تتحقق سلوكيات مؤذية للنوع البشري , وتُصنع المآسي والويلات المروعة.

وفي كثير من الأحيان , يتم إخماد صوت الضمير ومنحه إجازة إجبارية , من أجل القيام بأفعال متوحشة.
وعندما يبدأ الفعل المتوحش , يتغافل البشر عن الضمير ويدفنه في تراب الإنفعالات , ويحاول أن يجد له تبريرات ومسوغات للويلات , ليحقق راحة لضميره عندما يعود إليه.

ومَن يتأمل ما يجري على كوكبنا , يرى أن الضمير البشري في غيبوبة تتمادى في ديمومتها , مما ينذر بحصول فواجع مروّعة قادمة.
الضمير وعلى مختلف المستويات , أصابه الشلل وتم فرض الإقامة الجبرية عليه في دهاليز البغضاء والبهتان.
فالضمير اليقظ لا يرضى بما يجري فوق الأرض اليوم , لكننا نرى ونسمع يوميا , ما يندى له جبين أبسط المخلوقات , من فظائع وأهوال يرتعش منها جسم الأرض , وترتعب منها الأجرام والأكوان.

فظائع ما خطرت على بال مخلوق في أية بقعة كونية , يقوم بها البشر ضد البشر , وتحت شعارات ولافتات وإدعاءات ذات معاني ومفاهيم سامية , بل أنها تأخذ طريق الدين والعبادة ,
ويحسبها مَن يقوم بها طقوسا إيمانية تقرب البشر الذي يدمر البشر إلى خالقه , وتوفر له دواعي الإعتقاد والإيمان.

الضمير اليقظ لا يقبل بالخطايا والآثام , ويأبى القيام بفعل مشين , لأن بوصلته تعلن أن التفكير

من أمراض الشخصية , اضطراب الشخصية السايكوباثية أو اللاإجتماعية , حيث يموت الضمير فيها وتفقد أي أثر للسلطة الداخلية

الضمير البشري هو بوصلة أمان لتحقيق الحياة الإجتماعية , التي تساهم في ديمومة التفاعل البشري المرغوب

عندما يغيب صوت الضمير من الفرد أو المجموعة , تتحقق سلوكيات مؤذية للنوع البشري , وتُصنع المآسي والويلات المروعة

مَن يتأمل ما يجري على كوكبنا , يرى أن الضمير البشري في غيبوبة تتمادى في ديمومتها , مما ينذر بحصول فواجع مروّعة قادمة

الضمير اليقظ لا يرضى بما يجري فوق الأرض اليوم , لكننا نرى ونسمع يوميا , ما يندى له جبين أبسط المخلوقات , من فظائع وأهوال يرتعش منها جسم الأرض , وترتعب منها الأجرام والأكوان

بالفعل أو الشروع به غير صحيح , ولا يمكنه أن يوفر راحة للبشر الفاعل , ولهذا يرفض الفعل الذي يزعزع ثوابته , ويفجر الآلام ويقضي على مفردات الحياة , المتعارف عليها في ميادين السلامة والبقاء.

وقد يقول قائل أين الضمير فيما يجري على الأرض؟

والجواب أن الضمير في غيبوبة مأساوية , وشلل تام , يقبع في أقفاص الأسر العدوانية والبغضاء الجهنمية.

وهذا يعني أن البشرية ليست بخير , وأنها تمضي إلى الهاوية , وربما ستواجه مأساة عالمية , أخذت تلقي بظلالها على مسيرة الأحداث , وتعدّ البشر للسقوط في مهاوي الردى المروعة , التي ستفني الملايين في غضون لحظات فقط.

مَن يتأمل البشر , يرى فقرا موجعا , وجوعا مؤلما , وأمراضا فتاكة , وحروبا متواصلة لا تهدأ , تساهم في الدمار والتشرد والجوع والضياع , والفواجع المتكررة والمآسي المتعاظمة.

غيبوبة الضمير هي التي جعلت البشر لا يأبه لما يجري , ويتمحور حول ذاته ويغوص فيها إلى حد الموت والهلاك , حتى تدور حوله الشرور , وتقبض عليه فيستيقظ ضميره ولكن متأخرا جدا.

وهكذا ترانا اليوم نقف بلا حراك أمام فظائع متكررة , يسقط فيها الأبرياء بالآلاف دون ذنب , إلا أنهم قد وجدوا أنفسهم صدفة في مصيدة الشرور المقيتة.

الظلم البشري يسود ويتجبر , والضمير البشري صامت ولا يمكنه أن ينادي بالعدل.

الحروب تتنامى والضمير البشري في سكرة النوم العميق.

أبناء البلد الواحد في صراعات مؤلمة وقاسية , والضمير الفردي والجمعي في سبات الموت.

لا ضمير!!

بل إنفعالات وقدرات غضب , ومشاعر سلبية منفعلة وفاعلة في الأرض , تبذر العديد من مسوغات الشر والهلاك.

بشر صار يتحرك بطاقة الشر والبغضاء والكراهية , وكأنه يسير في غابة محشوة بالوحوش الكاسرة, فتحفزت كل قواه وقدراته العدوانية , وقابلياته الانعكاسية للرد الغاضب والقاتل لأخيه الإنسان.

فصار البشر يرتدي ثوبا آدميا , وهو في حقيقته وحش متخفي ومتحفز للانقضاض والهجوم الدامي.

البشر على شفا حفرة من النار والجحيم , الذي أخذ يؤسسه على وجه البسيطة , التي ستحال إلى سجير ملتهب بجهد البشر العدواني الإبداع.

الجواب أن الضمير في غيبوبة مأساوية , وشلل تام , يقبع في أقفاص الأسر العدوانية والبغضاء الجهنمية

هذا يعني أن البشرية ليست بخير , وأنها تمضي إلى الهاوية , وربما ستواجه مأساة عالمية , أخذت تلقي بظلالها على مسيرة الأحداث

غيبوبة الضمير هي التي جعلت البشر لا يأبه لما يجري , ويتمحور حول ذاته ويغوص فيها إلى حد الموت والهلاك , حتى تدور حوله الشرور , وتقبض عليه فيستيقظ ضميره ولكن متأخرا جدا

أيها الناس تساءلوا عن الضمير, إبحثوا عنه في مفردات أفعالكم , عودوا إلى جوهركم , واذكروا ربكم

الضمير هو التُقى ومهابة الرحمن الرحيم , والكلمة الطيبة , والعمل الصادق والرحمة والحب , وكل الفضائل الإنسانية التي بسببها تحقق المجتمع الإنساني , وعبّر عن قدرات المحبة فيه

ترى هل من حل...؟

أيها الناس تساءلوا عن الضمير, إبحثوا عنه في مفردات أفعالكم , عودوا إلى جوهركم , واذكروا ربكم.

فالضمير هو التُقى ومهابة الرحمن الرحيم , والكلمة الطيبة , والعمل الصادق والرحمة والحب , وكل الفضائل الإنسانية التي بسببها تحقق المجتمع الإنساني , وعبّر عن قدرات المحبة فيه.

وهو فعل الخير الدائم , ومحاربة الشر بكل أنواعه ومستوياته.

فالشر محرقة الضمير , والخير بستانه وجنائنه الفواحة الغناء.

الضمير هو الصدق والإيمان , وأن يمسح الإنسان دمعة أخيه الإنسان , ويزرع الابتسامة على شفتيه.

فهل من يقظة ضمير؟

وهل من نداء حب ورحمة؟!

ليسأل الإنسان نفسه وأخاه الإنسان!!

ثانيـــا: الضميـــــر المستتـــــر!!

ضميرنا في إجازة، أو ربما يكون ممزقا ومنهوكا ومغيبا بسبب القهر المتواصل والعناء اليومي المتعاظم.

نعم الضمير في غيبوبة مأساوية كبيرة تستدعي التنبه واليقظة والحذر قبل أن نصحوا لنقرأ الفاتحة على ضمائرنا.

الضمير هو القوة التي تحدد معايير التفاعل الإجتماعي وتبني التقاليد والأعراف والأصول السلوكية التي تصنع الوجود الجماعي في أية بقعة أرضية.

وينمو الضمير معنا منذ الطفولة ويكون متجسدا بتماثلنا مع الأبوين في مراحل نمونا الأولى وبعد ذلك يتخذ بعدا إجتماعيا ودينيا , لكي يكون ضميرا جمعيا تشترك في عناصره الجماعة التي ينتمي إليها ذلك الفرد.

وقد قسّم القرآن الكريم النفس البشرية إلى ثلاثة طبقات أساسية لم تتمكن من الخروج منها أرقى مدارس علم النفس الحديث ، بل بقيت هذه الأركان الأساسية تمثل وتحدد معالم الشخصية ودورها وتطورها في الحياة.

وهذه الطبقات هي النفس اللوامة (الضمير) والنفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء.

والنفس اللوامة يتم بناؤها عبر التفاعل البشري منذ بداية الحياة، فما أن يولد الطفل حتى تبدأ معالم رسم خارطة الصواب والخطأ في أعماق دماغه وأروقة نفسه، فيتعلم من والديه ومن الذين حوله الكثير من المعايير التي تضمن له سلامة السلوك ورغبة البقاء والتواصل في الحياة.

الضمير هو الصدق والإيمان , وأن يمسح الإنسان دمعة أخيه الإنسان , ويزرع الابتسامة على شفتيه

ينمو الضمير معنا منذ الطفولة ويكون متجسدا بتماثلنا مع الأبوين في مراحل نمونا الأولى وبعد ذلك يتخذ بعدا إجتماعيا ودينيا , لكي يكون ضميرا جمعيا تشترك في عناصره الجماعة التي ينتمي إليها ذلك الفرد

قسّم القرآن الكريم النفس البشرية إلى ثلاثة طبقات أساسية لم تتمكن من الخروج منها أرقى مدارس علم النفس الحديث

هذه الطبقات هي النفس اللوامة (الضمير) والنفس المطمئنة والنفس الأمارة بالسوء

النفس اللوامة يتم بناؤها عبر التفاعل البشري منذ بداية الحياة، فما أن يولد الطفل حتى تبدأ معالم رسم خارطة الصواب والخطأ في أعماق دماغه وأروقة نفسه

فيعرف الصدق من الكذب والحلال والحرام والممنوع والمسموح ويفهم في القواعد العامة التي تتحكم بسلوك جماعته، ويمضي في تفاعلاته حتى ينضج ضميره ويكون مؤهلا للتفاعل الإيجابي في المجتمع.

إن ما يحصل في بلداننا يشير بوضوح صارخ إلا أن الضمير قد تمزق وتفتت , وما أصبحت هناك معايير متفق عليها بين أبناء المجتمع الواحد والدين الواحد، بل طغت الأنانية المقيتة على السلوك، والطمع والشراهة المطلقة على جوانب الأيام، فما عاد للصداقة قيمة ولا للأخوة ولا للجار أثر وإعتبار، ولا للإنسان أي معنى بقدر ما يوفر للآخر تحقيق الرغبات والحاجات المتفاقمة.

إختفت الرحمة والضيافة والكرم والغيرة وحتى الشرف أحيانا، وصارت الولاءات لما هو مادي ودنيوي دنيئ.

وإنقلبت هيكلية الأعراف والتقاليد وأخذنا نرى سلطة الضمير جبنا وخذلانا ورغبة النفس الأمارة بالسوء قوة وشجاعة وسلطانا.

وساد الفساد والغش والرشوة والمحسوبية والمحاباة والكذب والتزييف والتضليل والخداع والخنوع والتبعية والخيانة والنيل من الآخر، وأضحت تعاليم الدين مجرد كلام وشعارات لا تنفع، والوطنية غابت والمواطنة إنسحقت والعروبة إحترقت، والدين أصبح مللا وطوائف وقبائل ومدارس متطرفة الرؤى والسلوك، ولا مَن يذكر ربه ويستهدي بقرآنه ، وإنما لكلٍّ إمام ووثن وكرسي يعبده ويأتمر بأوامره ويدين بأفكاره، لأنه لا يعرف من الدين إلا إسمه ومن القرآن إلا رسمه.

ويبدو أن الدين قد فشل في بناء الضمير الجمعي مما أدى إلا تداعيات مرعبة حصلت في ديارنا وبلا رادع أو صرخة ضمير، فمضى الفساد هو الصحيح والكذب هو الصدق والرشوة هي القانون وكل ما يتنافى مع الدين هو الدين.

فأين الضمير مما يجري في كل مكان.

العربي يئن من جور وطنه ويحلم بالرحيل عنه والخلاص من ضغط الحياة فيه.

ولتستغرب وأنت تتأمل أبناء الدول العربية وكل منهم يحمل هموما متراكمة وطموحات مخنوقة وأحلام محروقة, ويرغب في الهجرة إلى بلدان أخرى يعبر فيها عن طاقاته وآماله وطموحاته.

فالأوطان العربية صارت حقائب سفر وأمتعة هجيج!!

وترى ما ترى من تقيحات مريرة في الضمير الذي ما عاد صامدا أمام النفس الأمارة بالسوء , والتي تسيّدت على أركان الحياة وحولت الدين إلى مأساة وجرح عميق في النفس والروح.

فلماذا لا تنفع الخطب والمواعظ في بناء الضمير الجماعي وتحقيق السعادة الإجتماعية، وكيف ساهمت في حرق الضمير وحقنه بالصديد؟

إننا بحاجة إلى وقفة واعية وفعالة ذات قيمة في فهم عناصر المأساة والرجوع إلى أسس بناء الضمير لكي يشعر الإنسان بالسعادة والثقة والأمان، وأن نغرس في قلبه حب الوطن والمجتمع والتفاعل الخلاق من أجل حياةٍ أفضل للأجيال بعيدا عن تفتت الضمير وخراب السلوك.

إن المجتمعات التي لا تبني ضميرا جمعيا واعيا وفاعلا في مسيرتها، تتحول إلى وجود مأساوي

ساد الفساد والغش والرشوة والمحسوبية والمحاباة والكذب والتزييف والتضليل والخداع والخنوع والتبعية والخيانة والنيل من الآخر

أضحت تعاليم الدين مجرد كلام وشعارات لا تنفع، والوطنية غابت والمواطنة إنسحقت والعروبة إحترقت، والدين أصبح مللا وطوائف وقبائل ومدارس متطرفة الرؤى والسلوك

إننا بحاجة إلى وقفة واعية وفعالة ذات قيمة في فهم عناصر المأساة والرجوع إلى أسس بناء الضمير لكي يشعر الإنسان بالسعادة والثقة والأمان

إن المجتمعات التي لا تبني ضميرا جمعيا واعيا وفاعلا في مسيرتها، تتحول إلى وجود مأساوي مهين، وما يجري يشير بوضوح إلى أزمة الضمير التي نعيشها , والتي فعلت فعلها السيئ المشين

لو كان الضمير صالحا ومبنيا على قيم ومعايير إسلامية سليمة لما تمكنت منه أية قوة أو إرادة، ولما قتل المسلم أخاه المسلم، أو شرد جاره وإستحوذ على أموال غيره

مهين، وما يجري يشير بوضوح إلى أزمة الضمير التي نعيشها , والتي فعلت فعلها السيئ المشين.
ومَن يجعل من الآخرين قميصا جديدا فعليه أن يفتش عن ضميره أولا وعندما يجده يحق له التفوه بكلام.

فلو كان الضمير صالحا ومبنيا على قيم ومعايير إسلامية سليمة لما تمكنت منه أية قوة أو إرادة، ولما قتل المسلم أخاه المسلم، أو شرد جاره وإستحوذ على أموال غيره وحقوقهم وممتلكاتهم، ولما تلذذ المسلم بتعذيب أخيه المسلم.

إن ذلك يعود إلى مأساة الضمير المستتر أو المغيّب وتهتكه وإزدياد عدد ثقوبه في حياتنا، ولكي نكون علينا أن نبني ضميرا جمعيا صالحا ومعاصرا ومعبرا عن قيمنا وأخلاقنا العربية الإسلامية، وذلك يكون بتأكيد ما يجمعنا ورفض ما يفرقنا وينتهك مقومات صيرورتنا الأقوى.

ثالثـــــا: الضميـــــر المـــــؤود!!

يبدو أن الضمير البشري ما عاد موجودا وربما قد تم إعدامه في سوح الدولارات والدنانير , وعلى مقصلة الأنانية والبخل والجشع والإمعان بالذاتية الدونية المتوحشة الحمقاء.
فالضمير البشري قد غاب وإندثر وصار الذهب هو الضمير والمثل الأكبر للبشر فوق التراب المرتعش المتحفز لإفتراس ما يسعى على ظهره.

ودليل ما تقدم أن الجوع صار آفة تفوقت على موجات الطاعون والإنفلونزا في الفتك الجماعي ولا مَن يشعر ويتحسس، بل الناس منهمكة في أنانيتها وإمعانها برغباتها المسعورة التي يمكن إختصارها بالمال والجنس وسفك الدماء.

فألاف الأبرياء يموتون جوعا في بقاع الأرض المفجوعة ببشرها ولا مَن يرف طرف عينه.
الآلاف من الأطفال والنساء والشيوخ ومخلوقات الله الأخرى تموت جوعا وعطشا , وغيرهم يتنعمون بالتخمة والبذخ والإسراف ويتغمسون بالملذات وما حولها.

والبلايين تلو البلايين من الأموال العربية الإسلامية تضيع في أسواق الأسهم العالمية، وفقا لألاعيب وخطط مرسومة لأخذها من أصحابها الذين يدّعون العروبة والدين، ويضخون بالبلايين في بيداء الخسران والضياع، ولا يأبهون للفقراء والجياع والمساكين في بلاد العرب والمسلمين.
عشرات ومئات الآلاف من البشر العربي المسلم يتضور جوعا وفقرا وعوزا وألما وقحطا، وأصحاب البلايين السهلة المتدفقة من آبار النفط ، ينثرونها بلا شعور في أسواق البذخ والبهتان ولايفكرون في الإستثمار في البلدان العربية والإسلامية.

فهل هذا من شيم العروبة والإسلام؟
وكم خسر أصحاب الأموال العربية النفطية البلايين في بضعة أشهر وأسابيع، والعرب والمسلمون يموتون جوعا وما من أحد عبّر عن نخوة عربية إسلامية أو إستيقظ ضميره، وقال لماذا أهدر أموال العرب والمسلمين في أسواق مضاربة الأسهم وأقامر بها، ولا أساهم في منع الجوع والمرض

وحقوقهم وممتلكاتهم، ولما تلذذ المسلم بتعذيب أخيه المسلم

علينا أن نبني ضميرا جمعيا صالحا ومعاصرا ومعبرا عن قيمنا وأخلاقنا العربية الإسلامية، وذلك يكون بتأكيد ما يجمعنا ورفض ما يفرقنا وينتهك مقومات صيرورتنا الأقوى

يبدو أن الضمير البشري ما عاد موجودا وربما قد تم إعدامه في سوح الدولارات والدنانير , وعلى مقصلة الأنانية والبخل والجشع والإمعان بالذاتية الدونية المتوحشة الحمقاء

عشرات ومئات الآلاف من البشر العربي المسلم يتضور جوعا وفقرا وعوزا وألما وقحطا، وأصحاب البلايين السهلة المتدفقة من آبار النفط ، ينثرونها بلا شعور في أسواق البذخ والبهتان ولايفكرون في الإستثمار في البلدان العربية والإسلامية

ترتعب الأرض من توحش البشر وجشعه وظلمه وفقدان إحساسه وقلة دينه أو تسويغه

والجهل عن العربي المسلم.

إنها مأساة عربية إسلامية نفطية مرعبة يندى لها جبين الحاضر والماضي.

وترتعب الأرض من توحش البشر وجشعه وظلمه وفقدان إحساسه وقلة دينه أو تسويغه لتحقيق مآربه بالدين الذي يرسمه على قياسات هواه.

أ ليس من العار على العربي المسلم المتخوم بالبلايين أن يموت العربي المسلم أمامه من الجوع والفاقة والقهر؟

أ ليس من العار عليه أن يقف مكتوف الأيادي متجاهلا ما يحصل من المآسي بسبب الجوع.

ماذا قدم العربي المسلم المتخوم بالملايين لهؤلاء المساكين الذين يموتون بالمئات كل ساعة.

لا شيئ سوى التضرع إلى الله , والإسراف في ضخ الملايين في أسواق الأسهم والإستثمار في بلدان أجنبية ثرية.

ماذا قدم المتخومون للشعب العربي الذي يموت الإنسان فيه جوعا؟

إنها تساؤلات قاسية في زمن يقتل الإنسان أخاه ويفترسه بوحشية غير مسبوقة , وبإسم أسمى القيم والمعاني , والمفترس والضحية يشهدان أن لا إله إلا الله...ز!

لكنه البشر الذي سرق عقله وروحه وضميره حب التملك، وأصابته الملايين والملايين بطاعون الأنانية والإمعان في الرغبات الدونية والملذات الفاحشة.

وتلك والله مأساة أمة ودين , ومحنة أجيالٍ تستحيل أحطابا وتبعث دخان أنين!!

رابعـــا: الضميـــر الوطنـــي المفقـــــود!!

الضمير الوطني ربان الحياة وبوصلتها القادرة على تحقيق مسيرة إنسانية حضارية ذات قيمة معرفية وفكرية ومساهمات إبداعية متواكبة مع عصرها.

والإنسان الذي يغيب في دنياه الضمير الوطني لا يمكنه أن يأتي بخير , وتكون نشاطاته محكومة بإرادة السوء التي تتوطنه , ذلك أنه سيجد في أعماقه الخربة وطنا خاويا , لكنه لذيذ ينعش حاجاته ورغباته الخفية الدفينة , التي تمنحه الإحساس بأنانيته وسلطته وقوته الوهمية , وكأنه من الذين يتعاطون الكوكين والأفيون والمريوانا , وغيرها من عناصر الإدمان ووسائله وفنونه العجيبة.

وفيما يدور ويحصل في المنطقة بأسرها , عندما نتساءل عن الضمير الوطني , يكون الجواب:

"يا ولدي , مفقود , مفقود , مفققققووووود"!!

ألا يخطر ببالنا أن نتساءل: أين الضمير الوطني , عندما نكتب ونتحدث ونلقي الخطب والمواعظ ونتخذ القرارات والمواقف ونؤجج الصراعات؟!

فمن العدوان على الذات والموضوع والتأريخ والتراث والمعتقد , أن يكون الضمير الوطني غير حاضر في معظم نشاطاتنا وتفاعلاتنا , إن لم يكن في جميعها.

فلا يوجد مجتمع يتفاعل بالأساليب والآليات التي نمارسها , وكأننا لسنا للعصر بصلة , ونعيش في

لتحقيق مآربه بالدين الذي يرسمه على قياسات هواه.

ليس من العار على العربي المسلم المتخوم بالبلايين أن يموت العربي المسلم أمامه من الجوع والفاقة والقهر؟

إنها تساؤلات قاسية في زمن يقتل الإنسان أخاه ويفترسه بوحشية غير مسبوقة , وبإسم أسمى القيم والمعاني , والمفترس والضحية يشهدان أن لا إله إلا الله...ز!

الإنسان الذي يغيب في دنياه الضمير الوطني لا يمكنه أن يأتي بخير , وتكون نشاطاته محكومة بإرادة السوء التي تتوطنه

ألا يخطر ببالنا أن نتساءل: أين الضمير الوطني , عندما نكتب ونتحدث ونلقي الخطب والمواعظ ونتخذ القرارات والمواقف ونؤجج الصراعات؟!

من العدوان على الذات والموضوع والتأريخ والتراث

كوكب آخر , فالعزلة الفكرية والثقافية التي نعاني منها , جعلتنا أشبه بمخلوقات الغاب قبل قرون عديدة , ذلك أن المخلوقات الحالية تعاصر وتتعلم وتتطور وتتواصل مع زمانها , لقوة إرادة وطاقة البقاء والحفاظ على النوع الفاعلة في سلوكها.

أما ما يجري في واقعنا بصورة عامة , فأنه يكشف إنقطاعا مرعبا عن الزمن الذي نعيش فيه , بل أن أبناء مجتمعاتنا الذين يعيشون في مجتمعات أخرى , لا يعيشون في تلك المجتمعات , ولا يتفاعلون معها , وإنما يتمعهدون في عوالمهم وكياناتهم المعرفية المنحرفة , وينطلقون منها نحو رفد وتغذية التفاعلات المجردة من الضمير الوطني.

فهم يتواجدون في مجتمعات فيها كل الأجناس والمعتقدات البشرية , لكنهم يتكلمون بأحادية وتطرفية وإنحراف فكري وثقافي وعدواني شديد الإضرار بأبناء المجتمعات التي جاؤوا منها.

ولا يمكن تفسير هذا السلوك إلا من خلال العجز عن التواصل والتفاعل والتجدد , والإدراك الفكري والنفسي للمعطيات الناجمة عن التمترس في حالات مجردة من إرادة الضمير الوطني والإنساني , الملتزم بموازين إرادة المحبة والخير والألفة والأخوة , والسلوك الذي يراعي المصالح المشتركة , ويسعى إلى بناء العقد الإجتماعي الرشيد.

ومن الأنفع أن نتساءل جميعا , عن دور الضمير الوطني فيما نقوم به ونقوله ونكتبه , لأن في ذلك مسؤولية أخلاقية وإنسانية , ولا بد لنا أن نغمض عيون السوء التي فينا!!

وفي الختام , هكذا تبدو الأحوال , عندما يتم إعتقال الضمائر , وتخديرها وتضليلها , وأسرها في أقبية النفوس الأمّارة بالسوء والفحشاء والمنكر , وإيهامها بأن الظلام نورا , والحق باطلا , والظلم عدلا , والعدوان على الإنسانية دينا ومعتقدا , يقرّب إلى أرباب أباليس الشرور والبغضاء الداعين إلى مسيرات سقر.

ولن تنجوَ أمة من نواكبها الحمقاء ونوازلها الشنعاء , إلا بيقظة ضميرها ووعيها بأن مصيرها مرهون بعافيته وحسب!!

والمعتقد , أن يكون الضمير الوطني غير حاضر في معظم نشاطاتنا وتفاعلاتنا , إن لم يكن في جميعها

أما ما يجري في واقعنا بصورة عامة , فأنه يكشف إنقطاعا مرعبا عن الزمن الذي نعيش فيه

أن أبناء مجتمعاتنا الذين يعيشون في مجتمعات أخرى , لا يعيشون في تلك المجتمعات , ولا يتفاعلون معها , وإنما يتمعهدون في عوالمهم وكياناتهم المعرفية المنحرفة

لن تنجوَ أمة من نواكبها الحمقاء ونوازلها الشنعاء , إلا بيقظة ضميرها ووعيها بأن مصيرها مرهون بعافيته وحسب!!

*** *** ***

" ومـــا سوهـــــــــــــــــــا " ...أفكـــــــار نفسيـــــــة لحيـــــاة - صادق السامرائي

العدد 4 (2016)

أفكار نفسية لحياة (جزء 4)

صادق السامرائي (الطب النفساني)

رابـــط شـــراء العـــدد

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_product=204&controller=product&id_lang=3

الغلاف و الفهـــرس

http://www.arabpsynet.com/Samarrai/eBWaMaSawahaa4-Content.pdf

دليل الاصـدارات السابقـة على شبكة العلوم النفسية العربية

http://arabpsynet.com/Samarrai/Index.eBSamarrai.htm

على المتجر الالكتروني لمؤسسة العلوم النفسية العربية

http://www.arabpsyfound.com/index.php?id_category=19&controller=category&id_lang=3

على الفايس بوك

https://www.facebook.com/Wa-Ma-Sawahaa-Arabpsyfound-Publications--568068330023328/